للوقوف في وجه التفوق التقني الامبريالي ، كمخرج وحيد من المأزق الراهن . وحددت في النهاية بوضوح ان الانظمة الوطنية بالرغم من معاداتها للاستعمار والصهيونية غير قادرة بحكم تكوينها الطبقي والايديولوجي البورجوازي الصغير على وضع برنامج حرب التحرير الشعبية موضع الممارسة الثورية .

كذلك ادانت الجبهة الديمقراطية واقع حركة المقاومة الفلسطينية معتبرة هذه الحركة من نفس طبيعة الحركة الوطنية العربية . وان الجماهير انتظرت منها أن تشق طريقا جديدا ولكنها انتهت اسيرة الايديولوجية اليمينية والبورجوازية الصغيرة ، وتحولت الى ورقة تكتيكية ضاغطة في يد الانظمة العربية ، فأصبحت بمثابة فرقة امامية للجيوش العربية . وهي لن تستطيع الانتقال الى موقع متقدم الا اذا امتلكت ايديولوجية ثورية هي ايديولوجية العمال والفلاحين ، وعملت على تعميم الوعي السياسي في اوساط الجماهير ، وساعدت في تغذية حركة الجدل في الواقع الفلسطيني والعربي ، وتوفرت لها طليعة قيادية بروليتارية الانحياز . وليس مطلوبا من حركة المقاومة حتى بهذه الصفات ان تصبح بديلا لحركة التحرر الوطني العربي ، ولكن مهمتها المركزية في هذا النطاق ان تكون اداة تفجير لنضال الجماهير العربية ونموذجا لهذا النضال ، وبدون أن يتم هذا التفجير فان امكانيات تصعيد الكفاح المسلح الفلسطيني ستبقى محدودة .

لذلك كله تطالب الجبهة الديمقراطية حركة المقاومة الفلسطينية ان تنتقل بعلاقتها مع الجماهير الفلسطينية والعربية من طور العفوية والانفعالات العاطفية الى طور العلاقة المنظمة وتطالبها ايضا ان تنطلق في علاقتها مع الانظمة العربية من حقها المشروع في اخضاع اي موقف عربي تجاه القضية الفلسطينية الى محاكمة نقدية علنية ، تحدد كنتيجة له مع من تنسج علاقاتها في المنطقة العربية وضد من في الوقت ذاته . وهي تطالب حركة المقاومة الفلسطينية بهذه المهمة الكبيرة نظرا لقناعتها بأن « الانتقال بحرب المقاومة الراهنة ... الى حرب عصابات داخل الارض المحتلة ، ومن ثم الى حرب شعبية شاملة ، يستلزم بالضرورة الانتقال بالثورة من اطارها الفلسطيني البحت الى اطار عربي اكثر شمولا وأكثر قدرة على توفير المستلزمات الاساسية للنصر الحاسم »(٤٥).

ان هذا التحليل الذي يختلف بشكل نوعي عن تحليلات المنظمات الفدائية الاخرى ، والذي يتوفر فيه عنصر الانسجام الداخلي ، البعيد عن القفزات الفكرية والمواقف التوفيقية تعرض لحملة نقد عنيفة ، غالبا ما كانت تميل الى تشويهه . وبغض النظر عن بعض المقاصد السيئة التي حركت مثل هذه الحملات ، فان قيام حالة من الحوار والجدل حول مشكلات العمل الفلسطيني ، يعتبر ظاهرة ايجابية تساهم في تحريك الجو الفكري الآسن الذي غرق به الواقع الفلسطيني، وشاءت كثير من اجهزة الاعلام ان تبقيه ضمنه . ولان مسألة نقد الواقع العربي ، تحتل في تحليل الجبهة مكانة بارزة ، فقد كان من المفروض فيها أن تساهم في اغناء عملية الحوار هذه ، وهي قد ساهمت فيها فعلا ، ولكن مساهمتها سارت في منحى دفاعي غرق نتيجة لذلك في التكرار . اذ من الملاحظ ان الجبهة الديمقراطية طرحت رؤيا اولية واضحة ومترابطة ، ولكنها توقفت عند تلك الحدود ، ولم تسع لاغناء تحليلها بعملية استقصاء دقيقة لمشكلات الواقع الفلسطيني والعربي . فبالرغم من اصرار الجبهة مثلا على الطبيعة الطبقية للنضال الوطني ، فان اصرارها هذا لم يدعم بأي تحليل طبقي لواقع الشعب الفلسطيني. ومن المؤكد ان افتقاد مثل هذا التحليل يعني — حتى في ظل ادراك الطبيعة الطبقية للنضال الوطني — سير الممارسة العملية بشكل عائم ، يعتمد النجاح فيها على الكفاءة الفردية ، وليس على وضوح الدليل النظري .

وقد فهمت الجبهة الديمقراطية بصورة دقيقة معنى الترابط العضوي بين النضال الفلسطيني والنضال العربي ، ولكنها في تحديدها للمهمات الفلسطينية ازاء الواقع